٣ — الشعر الجريح

إنى أعتبر الحِقْبة التى نبغ فيها البارودى وصبرى وشوقي وحافظ ، من أعظم حسنات الدهر على الشعر . فإن هؤلاء الأفذاذ قد أضاءوا لنا الظلمة الحالكة ، بعد أن لبثنا فيها أحقاباً طوالا

فالتفت إليهم العالم العربى — ومصر خاصة — التفات السارى إلى النجم المتألق ، واستمع لهم وأنصت ، وتحلّى[1] تغريدهم ، وتدبر معانيهم ، وتفقه مراميهم ، واستظهر قصائدهم . ثم لقد ذهبت فينا حِكمهم مذهب الأمثال ، نرددها فى أنديتنا وسوامرنا ، ونستعذبهــا لقربها من قلوبنا ، وعلوقها بمواطفنا ، وصلتها بأرواحنا

إنهم قد ترجموا لنا حياتنا ، وعبروا عن آلامنا وأمانينا ، وغنوا لنا فى أفراحنا ، ورفهوا عنا فى أتراحنا ، ووصفوا الوصف المُجاب ، وأبدعوا وجددوا ما شاء لهم التجديد والإبداع

لقد نفخوا فى الشعر روحاً ، ونفثوا فى العربية حياة ، وتركوا من ورائهم ثروة زخرت بالنفيس من القول ، والفاتن من التصوير ، والشريف من المعانى

إنهم لم يَعنفوا حين عبروا ، ولم يُغربوا إذ فكروا ، ولم يكن الزخرف من صناعتهم ، ولا البديع من مقاصدهم . فجاءت لغتهم صفواً رائقة ، وأساليبهم سائغة شائقة ، وألفاظهم عذبة فائقة

لم تكن ثقافتهم من نوع واحد ، ولا كانت من طبيعة واحدة . ثم لقد اختلفت فى الحياة أعمالهم ، وتشعّبت مسالكهم ، وتفاوتت فيها مشاربهم . ولكنهم استقَوْا جميعا من مَعين واحد ، معين الأدب الصافى فى أزهى عصوره ، وأنضر أزمانه . نهلوا منه وعَلُّوا ، ثم نهلوا وعلوا ، حتى استقام لهم القول ، وَسلسَ منه القياد ، واستحكمت السليقة ، وتمهّدت الجادّة . هذا أحدهم حافظ إبراهيم ؛ أخبرنى مرة أنه يكاد يقرأ (كتاب الأغانى) من ظهر القلب ، لطول ما عكف عليه ومارسه .

وكان — رحمه الله — شديد الحافظة ، حادّ الذكاء . وكنت أختلف إلى بعض مجالسه التى يذكرها مِن أصفيائه مَن لا يزالون بيننا فى هذه الحياة

فكان يدهشنا حقا بواسع اطلاعه ، وفيض محفوظه ، وعجيب بديهته . وكان له فى تلاوته وقفات حلوة للتعليق والشرح ، والتعقيب والنقد . يتخلل أولئك نوادر من اللغة ، وشوارد من الأدب ، وفكاهات ومقابسات ، وموازنات ومناظرات .

سقى الله مجالسك الغُر يا حافظ ، فقد لا يجود بمثلها الزمان !

فأين هذا — وهو مثال وجيز من عبقرية شاعر — من مُتشاعرى هذا الزمان الذين كلّ بضاعتهم قشور من هنا ومن هناك ، وثقافة فجة ، وجهل مُطْبِق بالأدب العربى وتاريخه ، وألفاظ ذات بَريق يَلْوُون بها ألسنتهم ، لتحسبها من الشعر ، وما هى منه — لعمرك — فى شىء ؟

أعود إلى تلك الحقبة التى أبرزت شعراءنا الأربعة ، فأزعم أنها لا تعبر إلا عنهم وحدهم ، وإن نجم بينهم فيها من يُعترف لهم بالاقتدار وسمو الشاعرية .

وقد يكون هذا رأياً خاصاً بى ، لا يَشركنى فيه غيرى ؛ ولكنه رأى هكذا كونته . وقد أعْرِض له بشىء من التفصيل ، متى واتت الفرصة .

فلما خلا الميدان من هؤلاء الفرسان ، ودالت أيامهم ، سُدِلت على (المسرح) الستارة . ثم عادت فارتفعت ، فإذا مشهد عَجَب ، وإذا الحال غير الحال ، وإذا نحن أمام فوضى النظم والنُّظَّام ، تلك الفوضى التى يجب أن يتظاهر عليها فضلاء النقاد ، وذوو الرأى من الأدباء ، ليكبحوا من جماحها ، ويفُلُّوا من شِرّتها .

(للحديث بقية) (ا . ع)

« النقد » بمعنى المال

تناول الشيخ أحمد محمد شاكر كتاب الأستاذ العقاد « الصديقة بنت الصديق » بالنقد فى جريدة الوفد المصرى فأنكر

---

(١) تحلاه : وجد حلاوته

البيتين اللذين نسبهما العقاد إلى عروة بن الزبير وأجراهما على لسان عائشة

فلو سمعوا في مصر أوصاف خده لما بذلوا في سوم يوسف من نقد

ويقول الأستاذ شاكر : « ولكن العرب لا تعرف « النقد » بالمعنى المفهوم عند المتأخرين بمعنى المال كما يقول العامة « النقد » « النقود » ، وإنما النقد عندهم تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها . والنقد عندهم أيضاً خلاف النسيئة ، وله معان أخر ليس منها المال نفسه ، فإن شاء الكاتب الجريء - يريد العقاد - أن يكابر في هذا فليذكر لنا نصاً صريحاً ثابتاً من كلام الفصحاء شعراً أو نثراً يذكر فيه « النقد » بمعنى المال نفسه » (١)

فنحن ندلي بالنصوص التي حضرتنا مؤيدة لهذا المعنى

يقول الزمخشري : « نقد جيد ونقود جياد »(٢) ،

وابن قتيبة الدنيوري يحدثنا في أخباره العيون الغر فيقول :

قال إعرابي :

وفي السوق حاجات وفي النقد قلة

وليس يُقضى الحاج غير الدراهم(٣)

ويقول : قال دُليم :

الله لَقّى من عرابة بيعة على حين كان النقد يسر عاجله(٤)

ويقول الحريري في مقامته التاسعة والعشرين « الواسطية » : « فقد وُليت العقد ، وأُكفلتُ النقد »(٥). قال شارح المقامات أبو العباس أحمد القيسي الشريشي : « النقد هو المال الحاضر »(٦)

وقد استعمل هذا المبنى لذلك المعنى المؤرخان الجليلان أبو الحسن المسعودي(٧) وابن خلدون(٨) .

هذا ما حضرني - والذهن كليل - من تراث العرب ، وهو صريح في جواز استعمال كلمة « النقد » بمعنى المال كما هو معروف اليوم

سعد محمد حسن

(١) الوفد المصري عدد ١٥ فبراير سنة ٤٤
(٢) أساس البلاغة ج ٢ ص ٤٦٩ طبع الدار
(٣) عيون الأخبار ج ١ ص ٢٥٢ طبع الدار
(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٤
(٥) مقامات الحريري ج ١ ص ٣٣٣ طبع بولاق
(٦) شرح المقامات ج ٢ ص ٩١ طبع بولاق
(٧) التنبيه والأشراف ص ٢٠ طبع الصاوي
(٨) المقدمة ص ١٨٣ وما بعدها طبع عبد الرحمن محمد

الى الأستاذ الكبير أحمد حافظ عوض بك

سيدي الأستاذ

سلام عليك في عزلتك بعد ما ملأت الأسماع لطفاً وظرفاً ؛ وبعد : فقد حدثني الأستاذ الجليل إسعاف النشاشيبي عنك حديثاً يوزن وزناً . وقد جرَّ إلى الحديث عنك رأيك الذي أبديته في الشعر الحديث ، ونظمك لي مع أستاذنا الكبير خليل مطران في سلك واحد . ولقد شاء فضلك ومحلك في الأدب أن ترى في شعري رأياً أعده كثيراً على جهدي وإسرافاً في مثلي . ولكنك رضيت فارتأيت ! ولولا أن أستاذنا الجليل النشاشيبي عاد إلى فلسطين بعد أن كان تسليمه علينا وداعاً ، ومقامه بيننا غمضة عين ، وخفقة قلب ، وحسوة طير ؛ لولا ذلك لزرتك في صحبته ، وسعيت إليك في بطانته .

ولكنني ألقاك على صفحات « الرسالة » الغراء ؛ فرأيك فيها وفي صاحبها مما يسر أن نُذيع به . فأجعلها اليوم رسولي إليك ، لشكرك والتسليم عليك . والسلام

محمد عبد الغني حسن

في ديوان « حافظ بك ابراهيم »

كتب الأديب رضوان العوادلي بالبريد الأدبي من مجلة الرسالة الغراء العدد (٥٤٣) ما نصه :

« نسي الأستاذان أحمد أمين والزين أن يوردا هذه (القصيدة) في ديوان (حافظ إبراهيم) ؛ فآثرنا نشرها في الرسالة الغراء »

أنا في يأس وهم وأسى حاضر اللوعة موصول الأنين
ستهين بالذي (لاقيته) وهو لا يدري بماذا يستهين
سور عندي له مكتوبة ودّ لو يسري بها الروح الأمين
إنني لا آمن الرسل ولا آمن الكتب على ما يحتوين

وكم أود أن أظفر بشعر لم يضم بعد إلى ديوان حضرة شاعرنا الكبير - فأشعاره - رحمه الله - هي ذخر فني قيم - وثروة أدبية طائلة يعتز بها كل أبناء العربية - ولكن الأبيات هذه مثبتة بالديوان المذكور لم ينسها جامعوه ، وهي

بالصفحة (٢٤٩) من الجزء الأول في باب الغزل تحت عنوان :

« رسائل الشوق »

إلا أن ثم اختلافا في ترتيبها — فيه — والأحجى أن يكون الترتيب كما ذكره الأديب ، وكما جاء أيضاً في مجموعة (مختارات الزهور) الصادرة لسنة ١٩١٦ بعنوان (لوعة وأنين)

وبعد ، فلحضرة الباحث الكريم جزيل احترامي .

(مكة المكرمة) حسين عبد الله القرشي

« أبو شوشة والموكب » لمحمود تيمور بك

للأستاذ محمود تيمور بك اختيار لطيف لأبطال مسرحياته وقصصه ، فهو يوائم دائماً بين الاسم وصاحبه حتى لتجد المطابقة بينهما تامة غير منقوصة . ففي مسرحيته الفاتنة (سهاد) ترى (أم سرعرع) علماً على المرأة ؛ وترى (أقيش وقرطيش) علمين على القزمين اللذين يثيران الضحك في كل حركة أو كلمة . وفي مسرحيته (المنقذة) ترى (شلبية) قارئة البخت . وفي مسرحيته (قنابل) ترى القزم (كتكوت) وناظر الزراعة (حواش افندى) . وفي مسرحية (أبو شوشة) ترى شخصية (الشيخ غندور) وهو شيخ أخفق في دراسته فاتخذ من (عطوة باشا) سبيلاً إلى التندر والمضاحكة في مجلسه

ومحمود تيمور يختار لمسرحياته الأزمان التي توافق فنه الرفيع ؛ كما يختار لها الأمكنة اللائقة . فمسرحية (سهاد) مثلاً زمانها عصر الخلافة الإسلامية ، ومكانها الصحراء العربية بوديانها وكثبانها ومضارب الخيام فيها . ومسرحية (المنقذة) مكانها مصر وزمانها عصر المماليك . ومسرحية أبو شوشة مكانها مصر وزمانها عصرنا هذا وأشخاصها مصريون أصلاً . وكذلك مسرحية (الموكب) التي طبعها محمود تيمور مع (أبو شوشة) في كتاب واحد

وفي أغلب مسرحيات تيمور طابع من (الفكاهة) المتمثلة في شخصيات مضحكة ؛ وهذه الشخصيات يعرضها المؤلف دائماً في معرض التهريج والعبث . (فالشيخ كروان) مهرج من المرتزقة الطاعمين من فتات موائد الأغنياء . وهو أضحوكة مسرحية (الموكب) . والشيخ (غندور) مهرج آخر في مسرحية (أبو شوشة) ؛ فهو أزهري متحذلق . وقد اتخذه عطوة باشا سميراً ونديماً ... لا بل اتخذه مضحكاً ومهرجاً ... ! فهو حين يقدَّم إلى مؤنس بك ينحني ويقول Enchanté . فيضحك الجمع منه ، والمؤلف هنا بارع ، فهو لا يُنطق الشيخ (غندوراً) إلا بهذه اللفظة الفرنسية ، ويترك القارئ وحده يضحك لهذا الشيخ المتفرنس !

أما الشيخ (كروان) مهرج مسرحية (الموكب) فهو شيخ متحذلق أيضاً ؛ إلا أنه يزيد على صاحبه « غندور » بالثرثرة والسجع المتكلف والتملق المرذول . اسمعه مثلاً وهو يخاطب (فضل الله باشا) [أقسم برب الكعبة المشرفة ، غير حانث ولا كاذب ، أنك رجل هذا العصر ، ومنارة مصر ، وأوحد الدهر — ص ٨٣] . ولا يكتفي الشيخ بهذا بل ينشد أبياتاً في مدح الباشا يصفق لها السامعون ويشتركون في الضجيج حتى المتوقرون منهم أمثال بديع بك وزهرية هانم

والمؤلف ليس عنيفاً في إدارة الحوار وتجلية الطبائع ، ولكنه يسوقها في هدوء بالغ . ولست تحس وأنت تقرأ « تيمور » عنفاً أو صخباً أو جلبة . ولكنك ترى الهدوء الذي ينطوي في الإلغاز والرمز . وهـذا سر أن مسرحيات تيمور لا تختم بما تختم به مسرحيات غيره من المؤلفين . ولعل هذا سبب في أن المسرح المصري لم يحظ من مسرحيات تيمور بتمثيل العدد الكثير . فإن إخراج مثل النوازع النفسية الباطنة في مسرحياته يحتاج إلى مخرج بصير مـدرك ، وجمهور أعمق مرامى من جماهير المسرح اليوم .

الحق أن محمود تيمور فنان مخلص لفنه ، فلا تنقطع بينهما صلة على الرغم من أثقال الزمان . وقد أخرج من عهد قريب مسرحيتي (المنقذة وحفلة شاى) ومسرحية (قنابل) وهاهو ذا اليوم يخرج (أبو شوشه والموكب) في اللغة الفصحى التي كان المغفور له والده علماً من أعلامها . ولا شك في أن نشر « مجلة الصباح الدمشقية » لهاتين المسرحيتين بعد مشاركة طيبة من سورية الناهضة في إعلاء شأن المسرح العربي الحديث . وهي مشاركة سبقتها فيها (لبنان) الأشمُّ بنشر (نداء المجهول) للمؤلف نفسه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)